سلسلة أمراء النصر والتحرير

المعسكر رقم ٥

قصة الشهيد المجاهد أحمد علي شحيتو

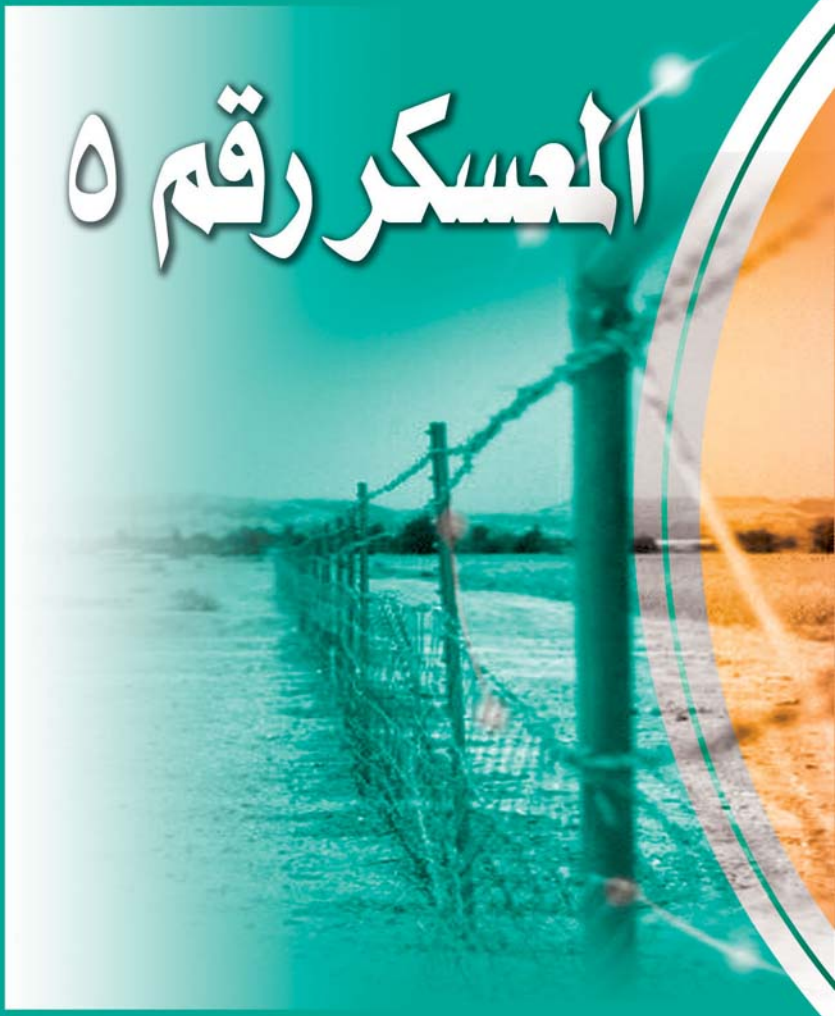

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
CULTURAL ISLAMIC AL-MAAREF ASSOCIATION

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

سلسلة أمراء النصر والتحرير

قصة الشهيد المجاهد أحمد علي شعيتو

المعسكر رقم ٥

المعسكر رقم 5

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٤٧١٠٧٠/٠١ـ ص.ب. ٥٣/٢٤. ٣٢٧/٢٥

الكتاب: المعسكر رقم 5
نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى تشرين الثاني 2005م - 1426هـ
جميع حقوق الطبع محفوظة

سلسلة أمراء النصر والتحرير

المعسكر رقم ٥

الكاتب: علي عبد الغني

قصة الشهيد المجاهد أحمد علي شعيبة

المعسكر رقم ٥

إهداء

(إلى أحمد الذي سبقنا إلى الحرية)

قصة عن الشهيد «أحمد شعيتو» من بلدة عيتيت الذي استشهد في معتقل «أنصار» عام ١٩٨٣م

المعسكر رقم (٥)

- قصّة الشهيد المجاهد أحمد علي شعيتو.
- الكاتب علي عبد الغني.
- نالت المرتبة الثالثة في مسابقة أجمل قصّة شهيد حوزوي جامعي.
- نظّم المسابقة الوحدة الثقافية المركزيّة في حزب اللّه.
- برعاية مؤسسة الشهيد في لبنان.
- ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

المعسكر رقم ٥

كنت أمشي لوحدي في تلك الليلة من ليالي معتقل أنصار وكان ذلك في شهر تموز عام ١٩٨٣م وكانت الطريق الذي نتمشى فيها تعتبر الطريق الرئيسية التي تفصل بين معسكرات الاعتقال وكانت المعسكرات مرقمة من ١ إلى ٢٠ كل معكسر يتسع لـ٢٠٠ أو ٣٠٠ معتقل...

كنت أتمشى فلفتني حوار دائر بين اثنين من المعتقلين وكان يدور حول وجود الخالق. لم أكن أعرف الشابين ولكني وقفت معهما مستأذناً فرحبا بي، ولعلك تسأل كيف لي أن أقف مع شابين لم أعرفهما من قبل؟ يحق لك أن تستغرب ذلك، ولكن لو كنت معتقلاً في أنصار لأدركت سر هذا التصرف... إذ أن الناس هناك يتصرفون على سجيتهم وعفويتهم تنكشف الحجب عن الفطرة فتتكسر كثير من الحواجز بينهم.

المهم أني وقفت مستمعاً إلى الحوار ثم بدأت أشارك فيه منسجماً مع المدافع عن فكرة وجود الخالق بينما كان الطرف الآخر مشككاً...

المعسكر رقم ٥

وبعد نصف ساعة تقريباً من الحوار استأذن ذاك الشاب المشكك يريد الانصراف... وبقيت أنا وزميلي الجديد... فعرفني بنفسه قائلاً: أحمد شعيتو من عيتيت.

فعرفته بنفسي وكان ذلك بداية علاقة لم يُكتب أن لها تستمر طويلاً.

تمشيّنا معاً تلك الليلة نتسامر... وكم يحلو السمر في ليالي الغربة.

كان أحمد بهي الطلعة وسيماً... تقرأ في عينيه دفئاً وذكاءً فطرياً... وكان متحمساً يضج بالحيوية والعنفوان...

لم يكن يأبه لسوط الجلاّد وقسوة المحتل... وكان واثقاً أن قيد السجّان لا بد أن ينكسر... ومع لقائنا في الأيام التالية كان يتضح انسجامنا من الناحية الفكرية وهذا ما عزز العلاقة بيننا.

فتح أحمد عينيه الحالمتين وكأنه يستيقظ من نوم عميق كان مبهوراً بالأنوار التي تنساب من كل اتجاه كما تنساب الجداول في يومٍ ربيعي لائق... قام من مكانه لا يدري في أي اتجاه ينظر... جمالٌ ما بعده جمال... طيورٌ لم يُرَ لها مثيل من قبل... وأزهارٌ في كل لون... وفراشات مزخرفة.

حمل حقيبته الصغيرة ومشى يتلفّت في كل اتجاه، ثم توغّل بين صفين من الأشجار المثمرة وكان مندهشاً من طبيعة هذه الأشجار... أوراقها كالحرير الناعم متدلية من كل الأنواع... وصل إلى نهاية الطريق وجلس على صخرة ينظر إلى نهر يجري من

تحتها بهدوء وسكينة...

نظر فجأة إلى الحقيبة التي كان يحملها وكأنه يراها لأول مرة... دفعه الفضول لمعرفة ما بداخلها...

فتح أحمد الحقيبة وأفرغ جزءاً منها.. فانعكست على صفحة الماء صورة أحمد الصغير يركض في زقاق من أزقة قريته الجنوبية «عيتيت» في تلك القرية المتدلية في إحدى ربى جبل عامل... ثم بدأت تنعكس على صفحة الماء صورة بيته المتواضع الذي يعبق بالإيمان والطهر، ثم رأى أهله واحداً واحداً الأب... الأم... الأخوة...

تعجب أحمد وأخذ يفرغ جزءاً ثانياً من الحقيبة...

أُفتح الباب على المعسكر رقم (٥) في المعتقل، كان أحمد يجلس مع صديقه علي عصر يوم من أيام الاعتقال... لحظات من التأمل ثم تنفتح الذاكرة على أحاديث متنوعة... يحلو الكلام عن أيام الطفولة. ورفاق المدرسة... والقرية... والجنوب... والوطن تأنس النفس باللجوء إلى كل جميل... وكل عزيز...

يشدها ألف خيط إلى ألف دفء... فغربة المعتقل... والمصير المجهول... يُولّدان شعوراً فريداً لا يعرفه إلا من عاش تلك الحالة وتلك المرحلة.

ولعلك تسأل ويحق لك ذلك...

كيف كان أحمد وهو في المعسكر رقم «٢٠» يزور صديقه علي وهو في المعسكر رقم «٥» ولذلك حكاية...

المعسكر رقم ٥

كان قد مضى على إنشاء معتقل أنصار سنة تقريباً، وفي الذكرى السنوية للاجتياح الإسرائيلي أي في مطلع حزيران عام ١٩٨٢. ولأن الإسرائيلي يعيش هاجس المناسبات ويخاف من عمليات مكثفة في المناسبة قام باعتقال حوالي ٥٠٠ شاب لبناني وفلسطيني واقتادهم إلى معتقل أنصار ووضعهم في معسكر رقم (٥)، وكان ذلك بداية انتفاضة عارمة في المعتقل إذ أن المعتقلين الذين كان قد مضى على اعتقالهم حوالي سنة... كانوا يُوعَدون من قبل الإسرائيلي بالإفراج عنهم وإذ بهم يفاجؤون بـ٥٠٠ معتقل جدد، فكشف ذلك كذب الإسرائيلي وقام المعتقلون بتحطيم الأسلاك الشائكة التي كانت تحيط بكل المعسكر، وحصلت انتفاضة عارمة أحرق خلالها المعتقلون كل الخيم في المعتقل... وحاول المحتل جاهداً لجم هذه الانتفاضة فأطلق النار وأصاب العديد من المعتقلين وأطلق الغاز المسيّل للدموع.

واجتاحت الدبابات المعتقل، ولكن كل ذلك لم ينفع وأصر المعتقلون على مواصلة انتفاضتهم، فسلّم حينها المحتل بالأمر الواقع وصار كل معتقل «أنصار» كأنه معسكر واحد، لم يعد هناك أسلاك فاصلة ولا موانع وصار يمكن لأي واحد أن يزور الآخر في أي معسكر كان وفي أي وقت من الليل أو النهار.

وكان ذلك يعتبر خطوة على طريق الحرية وكسر قيد المعتقل، ولم يعد المعتقلون يصدقون الوعود الإسرائيلية واصطلحوا على تسمية تلك الوعود «ابر المورفين» في إشارة إلى سعي المحتل لتهدئة

المعتقلين ومصادرة ثورتهم عبر تلك الوعود...

كان أحمد وعلي يستذكران تلك الانتفاضة التي كانت السبب في تعارفهما...

ثم قال أحمد: ما رأيك لو نذهب لسماع محاضرة إسلامية تقام في المعسكر رقم «١٩».

- ومن الذي يعطي تلك المحاضرات؟

أحمد: دكتور يدعى الدكتور «حسين».

- لا بأس في ذلك...

تواعدا على الذهاب عصر اليوم التالي وبالفعل فقد ذهبا في الوقت المحدد كان الدكتور يعطي دروساً في الأصول على المذهب الشافعي... داخل إحدى الخيام... وكانت الخيمة ممتلئة... جلسا في مكان خلفي... وفي اليوم الأول اعتقد الدكتور والحاضرون أنهما من التيار الماركسي... وذلك بسبب حوار حصل بينهما وبينه. إذ أن الدكتور قال خلال محاضرته أن المسلم العادي يعلم أكثر من ماركس.

فأثار ذلك حفيظتهما فقال أحمد:

- هل المسلم العادي لمجرد أنه ولد مسلماً يعلم أكثر من ماركس الفيلسوف؟

ابتسم الدكتور ثم قال: دعنا نعرّف العلم أولاً.

- ليكن ذلك.

قال: العلم أن تصل إلى حقيقة الأشياء.

المعسكر رقم ٥

بدا لنا التعريف مقنعاً... فاردف الدكتور:

المسلم العادي يعلم أن اللّه موجود وماركس يقول أن لا وجود له، فمَن هو العالم منهما؟

بدا ذلك مقنعاً أيضاً فقال له أحمد:

- إذا كان الموضوع يتعلق بهذه النقطة يمكن أن تكون محقاً.

في اليوم التالي ذهب أحمد وعلي إلى المحاضرة أيضاً... وكان الدكتور يتحدث عن مسألة «الاجماع» وخلال حديثه عن ذلك... قام أحد المعتقلين وقال: يا دكتور هناك حديث عن فلان رضي اللّه عنه... وقف أحمد منتفضاً وخاطب الدكتور:

- كيف تسمح له أن يقول ذلك؟

- وماذا قال؟

- قال فلان رضي اللّه عنه...

- وماذا في ذلك؟

قال أحمد وكان الجميع ينظرون إليه بدهشة:

- ألسنا نتحدث عن الاجماع؟

- نعم.

- الم ينتخب الإمام علي عليه السلام خليفة بإجماع الناس؟

- بلى.

- والذي يخرج على الاجماع ماذا نسميه؟

- كافراً.

- الم يخرج فلان على الاجماع ويحارب الإمام علي عليه السلام أثناء

خلافته؟

- بلى.

- إذا كيف يقول رضي الله عنه؟

التفت الدكتور إلى ذاك الشاب وقال:

- فعلاً كيف تقول ذلك؟

وقف الشاب وقال: يا دكتور أنا لم آت بهذا الحديث من عندي. هذا الحديث موجود في الصحيح الفلاني صفحة كذا...

أحرج الدكتور... وجلس أحمد مراعياً ذاك الاحراج...

وأكمل الدكتور محاضرته...

وعندما انتهى من المحاضرة... أقبل نحو أحمد وسلم عليه وعلى رفيقه... وجلس معهما.

وقال: أنا درست في جامعة بغداد وكان لي كثير من الأصدقاء من طائفتكم في الجامعة وأنا معجب بثقافتهم الواسعة.

غادر أحمد وعلي (قاعة المحاضرات) وكانا خلال الطريق يتحدثان عما جرى وعن حالة هذه الأمة التي يتآكلها العدوان من كل جهة واتفقا على أنّ الأمة التي لا تقرأ التاريخ جيداً لن يُكتب لها مستقبل مشرّف... ولكنهما لم يتسنّ لهما متابعة تلك المحاضرات، والسبب أن الإسرائيليين اكتشفوا أن المعتقلين يحفرون نفقاً للهروب في المعسكر رقم «١٩» فقاموا كعادتهم عندما كانوا يكتشفون نفقاً قاموا بجرف المعسكر رقم «١٩» وتشريد المعتقلين وتوزيعهم على بقية المعسكرات.

المعسكر رقم ٥

لم تكن تلك محاولة الهروب الوحيدة التي حصلت في أنصار، بل كان هناك محاولات عديدة بعضها نجح وبعضها فشل... فالتوق إلى الحرية كان هاجس كل المعتقلين، وأحمد كان يشغله هذا الأمر كثيراً... وقد شارك في محاولة هروب في المعسكر رقم «٢٠»، ولكن المحاولة لم تنجح واكتشف الإسرائيليون النفق وكان المعتقلون على وشك الانتهاء من حفره... وكان الهروب الكبير الذي حصل في المعسكر المقابل لمعسكر رقم «٥» أشهر تلك المحاولات... وفي اليوم التالي لتلك المحاولة كان أحمد يستمع لعلي بشغف وهو يحدثه...

عما رآه تلك الليلة...

كان علي يكتب قصةً في ساعة متأخرة من الليل... عندما بدأ اطلاق الرصاص بكثافة وبدأت تُسلّط الأضواء الكاشفة باتجاه الوادي المقابل... كان قائد عملية الهروب قد سمع أن أكبر عملية هروب من سجن قد حصلت في «تشيلي» عندما فر ٧١ سجيناً من السجن... فأراد أن يحطم الرقم القياسي وخطط لفرار ٧٢ معتقلاً من أنصار وبالفعل تم حفر النفق الذي كان يخترق المعسكر متجاوزاً الأبراج والحراسة الإسرائيلية لينتهي عند طرف الوادي المقابل، قسم القائد المجموعات إلى ثمان كل مجموعة تضم تسعة معتقلين.

وفي تلك الليلة بدأت عملية الهروب واستطاعت المجموعات الخروج من النفق وصولاً إلى الوادي... بقي القائد مع آخر

مجموعة... وعندما كانت تخرج من النفق علقت حقيبة أحدهم بسلك فأحدثت صوتاً. كان الحارس الإسرائيلي يتجول على الساتر الترابي المحيط بالمعتقل، نظر باتجاه الصوت فرأى مجموعة المعتقلين التي تحاول الفرار فاعتقد أن هناك هجوماً آتياً من خارج المعسكر فرمى البندقية من يده وأخذ يصرخ بشكل هستيري... تجمع الجنود الإسرائيليون على صوته وسلطوا الأضواء الكاشفة فعرفوا أن هناك محاولة هروب تحصل فأخذوا يطلقون الرصاص ويلاحقون المعتقلين الهاربين، واستطاعوا اعتقال الكثيرين منهم خاصة المجموعات الخلفية أما المجموعات الأمامية فاستطاع الكثير منها الفرار... وقام الإسرائيليون بتعذيب المعتقلين الذين ألقي القبض عليهم وخاصة قائد تلك المحاولة، وفي اليوم التالي قاموا بجرف ذاك المعسكر كعادتهم... كان أحمد يستمع إلى رواية علي... ثم قال: لا بد أن تنجح في يوم من الأيام بالخروج من هنا...

كان أحمد ما زال جالساً على تلك الصخرة والحقيبة في يده... ينظر إلى ذاك الجمال الذي يحيط به، مياه النهر تجري أمامه محدثةً صوتاً رخيماً... والطيور تحلّق فوق رأسه عازفة أجمل الأنغام... وأريج العطر يتهادى مع نسمات لطيفة...

كان أحمد يتأمل الأفق البنفسجي مبتسماً ثم نظر إلى حقيبته كمن تذكر شيئاً... أفرغ جزءاً من حقيبته... فإذا به يرى نفسه في المعسكر رقم «٥» يضحك ضحكته المعهودة... ولكنه لم يستطع

المعسكر رقم ٥

التوقف عن الضحك وهو يستمع إلى صديق وهو يحدثه عن الحادثة التي حصلت في المعسكر رقم «٥» قبل الانتفاضة الكبرى... كان المعتقلون كل ليلة يفتحون ثغرة في الأسلاك الشائكة... ويفتح المعتقلون في المعسكر المقابل ثغرة مماثلة... ثم يتسللون بسرعة عبر تلك الثغرات للقيام بزيارات متبادلة... إذ أن كل معتقل كان له أخ أو صديق أو قريب في معسكر آخر... وكانت هذه العملية تتم باستمرار.

وكان الإسرائيليون كل يوم يأتون في النهار ويعملون على اغلاق تلك الثغرات.

كان الجندي الإسرائيلي يغلق الثغرة من الخارج والمعتقلون يتجمعون لمشاهدة ذلك طمعاً في تضييع الوقت...

وكان جندي آخر يحمل سلاحه ويحرس الجندي العامل... خاطب أحد المعتقلين الجندي قائلاً:

- ما اسمك؟

- يعقوب.

- من أين أنت؟

- من اليمن؟

فخاطبه المعتقل:

- لماذا تعمل أنت دائماً والجندي الآخر يكتفي بالحراسة؟!

لم يجب الجندي واستمر في العمل.

فقال معتقل آخر:

ـ الأنك عربي وهو غربي؟

لم يجب الجندي.

فخاطبه آخر:

ـ لو كان عندك كرامة لما قبلت بهذا الوضع.

لم يجب الجندي.

فقال الآخر: لماذا لا تعمل أنت يوم وهو يوم ألا تخجل من هذا الوضع؟

عندها وقف الجندي يعقوب غاضباً.

ورمى أدوات العمل من يده.

وقال: «ما عاد بدي اشتغل».

فوجه الجندي الآخر سلاحه نحوه وأخذ يصرخ في وجهه باللغة العبرية.

وحصل جدال بينهما بنفس اللغة ولكن يعقوب لم يعد إلى العمل بل غادر يتبعه الجندي الآخر... فبدأ المتعقلون يضحكون ضحكة المنتصر. كان أحمد يضحك ثم قال: هذا هو الجيش الذي لا يقهر!

ثم أردف أحمد:

يا صديقي... هذا العدو... نمر من ورق كانوا يخوفوننا منه... ولكننا نحن المعتقلين نعرفه على حقيقته لأننا نحتك به يومياً...

لقد قبل الجنود الإسرائيليون الرشوة عشرات المرات مقابل حصول المعتقلين على «راديو صغير» أو «بطاريات» أو غير ذلك.

أنت تعرف أن الراديو ممنوع في المعسكرات ولكن كل معسكر

فيه اكثر من راديو فمن اين اتى ذلك؟!

لقد كان أحمد وعلي متفقين على أن مجتمع العدو هو مجتمع مفكك يجمعه فقط الخوف من المحيط المعادي... وكانا يتندران بحكاية ذاك المؤذن من المعتقلين الذي كان يرفع أذان الفجر فاستيقظ المعتقلون على صوته ولكنهم كانوا أيضاً يسمعون صوتاً آخر...

صوت الجندي الإسرائيلي الذي كان يقف في برج المراقبة والذي كان يسخر من المؤذن فعندما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا اللّه...

قال الجندي المعادي: اسكت... اسكت...

وعندما قال المؤذن: أشهد أن محمد رسول اللّه...

قال الجندي: اسكت... محمد مات... اسكت...

أكمل المؤذن آذان الفجر ثم ختم الآذان بشتم ذاك الجندي... الذي سكت ولم يعد يتكلم... ولكن الغريب في الأمر أنه عندما كان الجندي يسخر من المؤذن كان المعتقلون في نفس الوقت يسمعون صوت «قرآن».

مساء ذاك اليوم كان المعتقلون يتمشون كعادتهم وإذا بجندي في البرج المقابل يخاطبهم:

- هل سمعتم ما كان يقول الجندي الخنزير صباحاً؟

قالوا: نعم.

قال: أنا من وضعت شريط القرآن.

انا جندي درزي من الجليل وقد انزعجت من ذاك الإسرائيلي الخنزير. كان أحمد يقول: أنه جيش مهترئ... ومجتمع مهترئ ألا تذكر يا علي ذاك الحوار الذي دار بين أحد المعتقلين وذاك الجندي... الإسرائيلي الذي كان يصلح الأسلاك في الطريق مع مجموعة من الجنود؟ تجمع المعتقلون يستمعون إلى حوار دار بين أحد المعتقلين الفلسطينيين من مخيم «عين الحلوة» وأحد الجنود الإسرائيليين... كان المعتقل يتحدث من داخل المعسكر بمحاذاة الشريط الشائك... والجندي من الخارج...

وكان الحوار يدور حول حق اليهود المزعوم بأرض فلسطين... وحق الفلسطينيين بتلك الأرض، استمر الحوار حوالي ٢٠ دقيقة كان المعتقل مثقفاً واستطاع تقديم الحجج الدامغة... ولما شعر الجندي أنه لا يملك جواباً مقنعاً... قام بشتم المعتقل، رد عليه المعتقل بشتيمة مقابلة... ثم تصاعدت حدة الشتائم بينهما فقال المعتقل: على كل حال أنت تعرف أمك ولكن هل تعرف من أبوك؟ فسكت الجندي ذاهلاً تابع المعتقل: أنا كنت وأنا شاب في ألمانيا... وكنت متزوجاً امرأة يهودية وربما تكون أنت ابني الآن تراجع الجندي عند سماع ذلك وكأن عاصفة ضربته... ثم ابتعد إلى آخر الطريق عندها تدخل الضابط وقال:

يا شباب لا تتكلموا بهذه الطريقة يجب أن تتحاوروا بهدوء.

رد المعتقل: أنا كنت أتكلم بهدوء ولكنك سمعته عندما بدأ بالشتائم إنكم لا تتحملون الحوار... تدعون الديمقراطية... وأنتم

بعيدون عنها.

كان أحمد يجلس على تلك الصخرة يشعر بسعادة غامرة وإذا بطائرين كبيرين يرفرفان فوق رأسه نظر أحمد إليهما مبتسماً... وإذا بهما يحملانه ويطيران به في الفضاء. لم ير أحمد جمالاً كهذا من قبل... مر على مدن الياقوت والمرجان وتجول في حدائق اللؤلؤ... وغسل وجهه بماء النرجس والأقحوان...

كان ينتقل من جمال إلى جمال... وإذا به يرى نفسه محلقاً في فضاء قريته الجنوبية ينظر إلى أهله وإخوته يجلسون حول قبره يقرأون الفاتحة صبيحة يوم العيد... ابتسم أحمد وشعر الأهل والأخوة أن نوراً سريعاً مر من أمامهم وأن عطراً نادراً اشتمّوه في تلك اللحظة وإذا بأحمد يرى نفسه جالساً على تلك الصخرة أفرغ جزءاً من حقيبته وإذا به في «أنصار» كان أحمد مع ثلاثة من رفاقه يخططون لنوع آخر من الهروب... نوع لم يعرفه العدو من قبل... إنَّ التوق إلى الحرية وكسر قيد السجن دفع المعتقلين إلى ابتكار أنواع عديدة وأشكال مختلفة للهروب.

كان الإسرائيليون يعدون العدة لنقل المعتقلين إلى المعسكر الشتوي قبل بداية فصل الشتاء... وكان المعتقلون على علم بذلك فخطط أحمد ورفاقه الثلاثة أن يحفروا حفرة داخل خيمتهم... وأن يظلوا فيها عند نقل المعتقلين ثم يغادرون الحفرة عند حلول الظلام وبالفعل فقد بدأ العمل... وإذا كانت الحفرة في الأيام العادية تتطلب يوماً أو يومين فإن الحفرة في المعتقل تتطلب شهوراً

لأن الإسرائيلي كل يوم يفتش الخيم ويراقب باستمرار من خلال الأبراج فليس أمراً سهلاً أن تحفر شيئاً دون أن يراه الإسرائيلي.

إن ذلك يتطلب سرية مطلقة وصبراً كبيراً... فعليك أن تعمل دون أن يراك الإسرائيلي ودون أن يراك أحد من المعتقلين، ومن المشاكل الكبرى في ذاك العمل مشكلة التراب الناتج عن الحفر واخفائه، وهذا يتطلب جهداً وصبراً غير عاديين، فمن الوسائل التي ابتكرها المعتقلون لحل تلك المشكلة... أن يضع المعتقل حفنة من التراب في جيبه المثقوب ثم يتمشى في المعسكر... فيتسرب التراب من جيبه رويداً رويداً... ولا يشعر أحد بذلك، ومن الوسائل الأخرى المبتكرة أن يزرع المعتقلون وروداً حول خيمهم... ويخفون جزءاً من التراب في أحواض الورود، وأساليب أخرى لا يحسب العدو لها حساباً. قام أحمد ورفاقه بعد عمل دؤوب بإنجاز تلك الحفرة وقاموا بتغطيتها وتمويهها بشكل جيد وأخذوا ينتظرون اليوم الموعود...

في صبيحة ذاك اليوم بدأ الإسرائيليون بنقل المعتقلين عبر شاحنات كبيرة إلى المعسكر الشتوي... واستمر العمل طيلة ذاك النهار بينما أحمد ورفاقه الثلاثة يختبؤن في تلك الحفرة، تم نقل المعتقلين إلى المعسكر الشتوي في واد بمحاذاة أنصار يدعى «وادي جهنم»، مئات الخيام في صفوف متوازية أعدت لاستقبال آلاف المعتقلين وربما استفاد العدو من تجربته الماضية فلم يقم بتقسيم المعتقلين إلى معسكرات، بل جعل الوادي كله معسكراً واحداً. كان

المعسكر رقم ٥

المعتقلون ينتدرون بحكايات وادي جهنم، ولعل أبرز تلك الحكايات الرواية المشهورة في التاريخ عن «يزيد» حاكم الأمويين الثاني والتي تقول الروايات أنه قتل في وادي جهنم.

فالتاريخ يحدّث أن يزيد كان يقوم برحلة صيد للغزلان وأنه عندما وصل إلى طرف الوادي مع حاشيته ومرافقيه رأى غزالاً وقام بملاحقة ذاك الغزال إلى أسفل الوادي فشعر بعطش شديد ولم يكن يحمل الماء وإذا به يرى رجلاً في الوادي فطلب منه شربة من الماء وأراد أن يفتخر أمام ذاك الرجل فقال له: هل تعرف من أنا؟

- لا.

- أنا أمير المؤمنين يزيد.

وكان ذاك الرجل من محبي الإمام الحسين عليه السلام فقام بطعن يزيد الذي تدلى من فرسه وعلقت رجله بالركاب وأخذت الفرس تركض وتسحب يزيد خلفها على الحصى في ذاك الوادي.

كان المعتقلون يتسامرون بتلك الرواية فيستلهمون منها روح الثورة وروح الصبر والكبرياء، روح الحسين عليه السلام العاشق للحرية ومحاربة الظلم.

مساء ذاك اليوم بدأت تتسرب أخبار بين المعتقلين تتحدث عن استشهاد أربعة منهم كانت الأخبار أولية وغير مؤكدة ولكنها كافية ليشعر الجميع بالقلق وخاصة علي الذي لم يصادف أحمد بين المعتقلين فأخذ يدور من خيمة إلى خيمة باحثاً عن صديقه

أحمد... ولكن دون جدوى.

ومع مرور الساعات بدأت الأخبار تتأكد بالفعل هناك أربعة شهداء...

جلس علي على الأرض يبكي بعدما تأكد أن صديقه أحمد واحد من الشهداء الأربعة كان أحمد ورفاقه الثلاثة في تلك الحفرة ينتظرون حلول الظلام... وهم كانوا يعلمون من خلال تجربة الاعتقال أن العدو عندما يخلي معسكراً يقوم بجرفه في اليوم التالي وهذا يعطي فرصة للفرار ليلاً ولكن يبدو أن الإسرائيلي عند نقل المعتقلين قام بعدهم فاكتشف الأمر وأخذ يجرف المعسكر عصر ذاك اليوم مباشرة بعد نقل المعتقلين وادّعى الإسرائيلي أنه قتلهم عن طريق الخطأ ولكن الأخبار التي وردت بعد ذلك أكدت أن أحمد ورفاقه قاموا من مخبأهم عندما سمعوا صوت الجرافة وعلموا أن خطتهم لن يكتب لها النجاح هذه المرة إلا أن الإسرائيلي قام بقتلهم عمداً مستغلاً تلك الفرصة...

كان أحمد يجلس على تلك الصخرة مبتسماً لقد أراد العدو منعه من الخروج إلى الحرية ولكنه لا يعلم أن أحمد يعيش حريته الأبدية حريته الحقيقية.

استيقظ علي على صوت أمه تهزه.

- قم يا علي طعام الفطور جاهز.

فتح علي عينيه... نظر إلى وجه أمه البريء.

ابتسم ابتسامة خاصة.

- اراك مرتاحا اليوم... ما الأمر؟

- إنه حلم جميل يا أمي رأيت صديقي أحمد يجلس على صخرة ويحمل حقيبة...

سأحكي لك بقية القصة أثناء تناول الطعام.

انتهى